

## العطاءُ والأثرُ: ماذا يحدثُ عندما يُبني القرارُ من الواقع؟

السَّلَامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته ، وشكراً لـ جمعيَّةِ مُهندساتِ سعودياتِ على هذه الدِّعوةِ الكريمة، ولشركاءِ اللَّقاءِ في شركةِ دُهاناتِ الجزيرة على هذا الاستقبالِ الذي يليقُ بمقامِ الشَّراكةِ والمسؤوليَّةِ . يُشَرِّفُني أنْ أكونَ ضيفاً بينكم؛ لا بصفةِ المُتَحَدِّثِ فقط، بل بصفةِ المُتَعَلِّمِ والمُمْتَنِنِ لهذه الفُرْصَةِ التي تجمعُنا لنحتفي بإنجازاتِكم، وبحضورِ مهندساتِ سعودياتِ نَفَخرُ به جميعاً . سعيدٌ بأنْ أكونَ هنا، ليس لأنَّهُ وحدي، بل لنرمي خطوةً معَـا نحو فكرةٍ قد تصنَّعُ فَرِيقاً . هذا اللَّقاءُ، هنا في الـ رياضـ، عاصمةِـ الخيرـ، يُجسِّدُ صورةً مُتَقدِّمةً للتكاملـ بين التخصُّصـيـ الهندسيـ والعملـ المجتمعـيـ؛ حيثُ تجتمعُ المبادراتُ مع العملـ المؤسسيـ، وتلتقي الشراكاتُ مع الأثرـ، في بيئـةِ تُصْدِعُ فيها الذَّجاـحـاتُ ولا تُنـتـظرُ . وأخصُـ بالـشـكـرـ المهندـسةـ الشيمـاءـ الشـاـيبـ، رئيسـةـ مجلسـ الإـدـارـةـ، على قيادـتها الـوـاعـيـةـ التي أـسـهـمـتـ في تـرـسيـخـ هذاـ الـكـيـانـ المـهـنـيـ غيرـ الـرـبـحـيـ، والـشـكـرـ مـوـصـولـ لأـعـضـاءـ مجلسـ الإـدـارـةـ الـكـرـامـ علىـ جـهـودـهـمـ وـتـكـاتـفـهـمـ فـيـ دـعـمـ مـسـيرـةـ الـجـمـعـيـةـ وـتـعـزـيزـ حـضـورـهـاـ وـتـأـثـيرـهـاـ . وـأـحـيـيـ حـضـورـ المـهـنـدـسـاتـ وـالمـهـنـدـسـيـ؛ فـالـهـنـدـسـةـ هـنـاـ تـحـاـوـزـ الـتـقـنـيـةـ إـلـىـ صـنـاعـةـ الـحـلـوـلـ وـتـحـسـينـ جـوـدـةـ الـحـيـاـةـ، وـيـعـكـسـ حـضـورـ الـمـرـأـةـ السـعـودـيـةـ وـتـمـكـيـنـهـاـ أـثـرـ هـذـاـ الـمـسـارـ الـمـهـنـيـ فـيـ خـدـمـةـ الـمـجـمـعـ . ما أـشـارـكـهـ فـيـ هـذـاـ اللـقـاءـ هـوـ خـلـاـصـةـ دـمـجـ بينـ درـاسـتـيـ لـإـدـارـةـ الـقـطـاعـ غـيرـ الـرـبـحـيـ وـآـدـابـ الـإـحـسـانـ، بـرـؤـيـةـ تـرـىـ الـعـطـاءـ مـارـسـةـ إـنـسـانـيـةـ تـتـنـطـلـ بـفـهـمـ الـوـاقـعـ وـمـسـؤـولـيـةـ الـقـرـارـ، وـلـيـسـ هـنـاـ لـأـقـ دـمـ نـمـوذـجـاـ جـاهـزـاـ، بلـ تـأـمـلـاتـ مـنـ الـبـحـثـ وـالـمـمـارـسـةـ تـجـمـعـ بـيـنـ الـمـعـرـفـةـ وـالـخـبـرـةـ الـمـيـدـانـيـةـ . فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـمـبـادـرـاتـ الـمـجـمـعـيـةـ، يـنـصـبـ الـاـهـتمـامـ عـلـىـ حـجـمـ الـعـطـاءـ أـوـ سـرـعـةـ الـإنـجـازـ، غـيرـ أـنـ سـؤـالـاـ يـبـقـيـ حـاضـرـاـ : كـيـفـ يـبـنـيـ الـقـرـارـ الـذـيـ يـقـوـدـ هـذـاـ الـعـطـاءـ؟ فـطـرـيـقـةـ بـرـنـائـاءـ الـقـرـارـ غالـبـاـ مـاـ تـكـوـنـ العـاـمـلـ الـأـهـمــ فـيـ عـمـقـ الـأـثـرـ وـاسـتـمـارـهـ، وـرـبـماـ أـكـثـرـ تـأـثـيرـاـ مـنـ حـجـمـ الـمـوـارـدـ أـوـ جـوـدـةـ الـتـنـفـيـذـ . عـنـدـمـاـ نـتـحـدـثـ عـنـ الـقـطـاعـ غـيرـ الـرـبـحـيـ، فـنـحـنـ نـتـحـدـثـ عـنـ أـحـدـ الـمـجـرـكـاتـ الـرـئـيـسـةـ لـلـتـنـمـيـةـ الـمـجـمـعـيـةـ؛ قـطـاعـ يـعـمـلـ فـيـ الـمـسـاحـاتـ الـتـيـ تـلـتـقـيـ فـيـهاـ الـقـيـامـ بـالـاحـتـيـاجـ، وـتـتـحـوـلـ فـيـهاـ الـمـبـادـرـاتـ إـلـىـ أـثـرـ، بـعـيـدـاـ عـنـ مـنـطـقـ الـرـبـحـ الـتـجـارـيـ . وـيـعـمـلـ هـذـاـ الـقـطـاعـ مـنـ خـلـالـ مـنـظـوـمـةـ مـُتـكـاـمـلـةـ تـضـمـ : الـقـطـاعـ الـعـامــ، وـالـقـطـاعـ الـخـاصــ، وـالـمـجـمـعـ بـأـطـرـافـهـ الـفـاعـلـةـ وـأـصـحـابـ الـمـصـلـحـةـ؛ كـلـ بـدـورـهـ فـيـ بـنـاءـ الـأـثـرـ وـضـمـانـ الـاستـدـامـةـ . وـهـوـ قـطـاعـ يـسـعـيـ لـتـعـزـيزـ جـوـدـةـ الـحـيـاـةـ، وـبـنـاءـ الـقـدـراتـ،

وتمكين الأفراد والمجتمعات، بما في ذلك تمكين المرأة بوصفها ركيزة للتنمية المجتمعية؛ عبر مبادرات مسؤولة تُحسن استثمار الموارد لتحقيق نفع عام مستدام. ويتميّز هذا القطاع بأنّ نجاحه لا يُقاس فقط بحجم النّشاط، بل بعمق الأثر واستمراريته، ومدى اتساقه مع احتياجات المجتمع. العطاء الإنساني ليس جديداً؛ لكن كثيراً ما يُنفي على تصوّرات عامّة عمّا يحتاجه الآخرون، لا على ما يعيشونه فعليّاً. كانت النّيّة حسنة، لكن النّتائج لم تكن دائمًا بالمستوى المأمول. ومن خلال العمل غير الربحي وآداب الإحسان، يتبيّن أنّ التّحدّي الحقيقي لا يكمن في نقص الموارد، بل في المسافة بين القرار والواقع، والمسافة بين ما نعتقد أذنه مُفید، وما يحتاجه الناس فعلاً. وهنا تظهر أهميّة النّماذج المبنيّة على المجتمع وأصحاب المصلحة؛ نماذج تُعيد بناء القرار من داخل الاحتياج لا من خارجه. ولعلّ أحد أبرز النّماذج العالمية التي توضّح هذا المفهوم هي تجربة مشروع مدارس روزنواลด (Rosenwald Schools) في الولايات المتحدة الأمريكية. وهي مبادرة تعليميّة أُطلقت بهدف تحسين فرص التعليم في البيئات المحرومة، من خلال شراكة جمعت بين العمل الخيري، والمجتمع المحلي، والجهات التعليميّة، وأصحاب المصلحة. وقد ارتبط نجاحها بالتصميم والتنفيذ؛ إذ راعت النّماذج الهندسيّة الإضاءة الطبيعية، والتهوية، واتجاهات البناء وفقاً للبيئة، والأهم: مشاركة المجتمع في اختيار الموقع، وفهم الاحتياج، وتنفيذ البناء. فكان التّكامل بين الهندسة والواقع سبباً رئيساً في استدامة الأثر. وهنا يبرز دور الشراكات؛ فالتكامل بين المجتمع، والقطاع غير الربحي، والقطاع الخاص، والقطاع العام، عندما يُبني على الوعي والمسؤولية والامتثال، يتحوّل إلى رافعة حقيقية للتنمية. ومن الجميل اليوم أن نرى نموذجاً وطنيّاً واضحًا في شراكة دهانات الجزيرة، بوصفها جهة تُدرّك أنّ المسؤوليّة المجتمعية وبناء الأثر ليست شعارات، بل ممارسات عملية؛ وكثير من الشراكات التي نظر إليها في وطننا تسير بهذا النّهج المسؤول. ولا يفوتنـي أن أُعـبـرـ عن الشـكـرـ والـعـرـفـانـ لـ خـادـمـ الـحرـمـينـ الشـرـيفـينـ الـمـلـكـ سـلـمانـ بـنـ عـبـدـالـعـزـيزـ، وـلـ سـُـمـ وـ لـ يـ العـهـدـ الـأـمـيـرـ مـحـمـدـ بـنـ سـلـمانـ - عـرـابـ الرـؤـيـةـ الـطـمـوـحةـ، حـفـظـهـُـ ماـ، عـلـىـ مـاـ قـدـّـمـاهـ مـنـ دـعـمـ لـ تـمـكـينـ الـقـطـاعـ غـيرـ الـرـبـحـيـ، وـتـعـزـيزـ شـرـاكـاتـهـ مـعـ الـقـطـاعـينـ الـعـامـ وـالـخـاصـ، وـكـمـهـنـدـسـاتـ وـمـهـنـدـسـينـ، زـعـلـمـ أـنـ الـحـلـ يـتـحـسـنـ بـالـاخـتـيـارـ، وـأـنـ التـصـمـيمـ يـتـطـوـرـ بـالـتـغـذـيـةـ الـرـاجـعـةـ، وـأـنـ الـقـرـبـ مـنـ الـوـاقـعـ يـجـسـدـ الـأـدـاءـ. وـهـذـاـ مـاـ يـحـتـاجـهـ الـعـلـمـ الـجـمـعـيـ الـيـوـمـ. وـتـؤـكـدـ آـدـابـ الـإـحـسـانـ أـنـ الـعـطـاءـ لـيـسـ مـجـرـ دـةـ تـقـدـيمـ خـدـمـةـ، بـلـ عـلـاقـةـ أـخـلـاقـيـةـ تـقـوـمـ عـلـىـ الـاحـتـرـامـ، وـحـسـنـ الـتـقـدـيرـ، وـالـنـظـرـ إـلـىـ

الإنسان بوصفه شريكًا في المعنى ... لا موضوعًا للتدخل . ولنختتم بسؤالٍ يبقى معنا للتأمل بعد هذا اللقاء : كيف يختلفُ الأثرُ ... عندما يُبني القرارُ من الواقع؟ وكيف تتغيّرُ النتائجُ ... عندما تُدارُ الشراكاتُ بروح المسؤولية والتكامل؟ شكرًا لكم، وشكراً لجمعيةـةـ مـهـنـدـسـاتـ سـعـودـيـاتـ، وشكراً لكـلـ شـرـاكـةـ تـسـهـمـ فيـ صـنـاعـةـ أـثـرـ يـلـيقـ بوطنـنا ونـفـخـرـ بهـ جـمـيعـاـ . والـسـلامـ عـلـيـكـمـ وـرـحـمـةـ أـللـهـ وـبـرـكـاتـهـ .